

يا أُمَّة الصَّمْتِ

الكاتب : محمد بسام يوسف

التاريخ : 13 مايو 2013 م

المشاهدات : 6773



لا تَثُورِي أُمَّتِي..

فربّما إنْ تُرْتِ كالإعصار..

يَغْرُقُ البَحْرُ، في البَحْرِ..

أو تَقُمُ القِيَامَةُ..

أو تَقَعُ مِنْ عِلِّ غُيُومِ السَّمَاءِ!..

وربّما إنْ رَفَضْتَ القَهْرَ..

أو كُنْتَ زِلْزَالاً.. فربّما..

كَفَرُوكِ بِكُلِّ الأنبياء!..

* * *

لا تَثُورِي كما الرِّيحُ، فربّما..

اهتَزَّ وَقَارُكِ..

واغْبَرَّ بِالغَضَبِ الحِذَاءِ!..

أو ربّما افتقدتِ - يا أُمَّة الصَّمْتِ -..

بَعْضاً من كِبَرِيَاءِ!..

* * *

لا تَهَيَّي.. قد يُقالُ:

تنازَلَتْ أُمَّةُ العَرَبِ..

عن قَلِيلٍ، أو كَثِيرٍ.. من حَيَاءِ!..

أو يُقالُ:

أُمَّةُ الصَّمْتِ تُمارِسُ..

بَعْضاً من وُقُوءِ!..

لا تَعْضِبِي بوجهِ الطُّغَاةِ..

فَعَضَبَةُ الحُرِّ..

سَبِيلٌ للشَّقَاءِ!..

* * *

لا تَثُورِي.. فاحتمال..

إِنْ فَعَلْتِ..

أَنْ تَصْحَوْ بعضُ النُّجُومِ..

أَوْ يَسْقُطَ نَيْزِكٌ.. أَوْ كَوَكَبٌ..

وقتَ المَسَاءِ!..

* * *

لا تَهْبِي.. فالأعاصيرُ هنا..

تَخْضَعُ كُلُّهَا..

لقوانينِ بَيْعٍ أَوْ شِرَاءٍ!..

كُلُّهَا في هذا الزَّمَنِ هَبَاءً!..

* * *

لا تُجِيبِي دعوةَ الدَّاعِي..

أَوْ صرْحَةَ المُسْتَعِثِينَ..

أَوْ للمُسْتَعِثَاتِ رَجَاءً!..

لا تُجِيبِي.. إِنْ فَعَلْتِ..

سَيَقُولُونَ:

خَرَقَتْ أُمَّةُ العُرَبِ..

قوانينَ الوَلَاءِ!..

* * *

لا تَفِيقِي.. واحذري أَنْ تَفِيقِي..

فالعَقْلُ للحُرِّ.. شَرٌّ وِبلاءٌ!..

ومَوَاطِيقُ الصِّيفِ..

يُلْغِيهَا الشِّتَاءُ!..

لا تَتَنَخِّي.. فَحَسْبُكَ أَنْ الحَنَّايا..

من زُمْرَةِ الأَبْرِيَاءِ!..

* * *

لا تَنْهَضِي أُمَّةَ المِليَارِينَ..

واحذري النُّهُوضِ..

فربِّمَا تَخِرُّ الجِبَالَ..

أَوْ يَسْقُطُ قُرْصُ الشَّمْسِ..

أَوْ يَشْكُو الْقَمْرُ..

انْقِطَاعَ الْكَهْرُبَاءِ!..

* * *

لَا تَكُونِي كَأَصْحَابِ الضَّمِيرِ.. سَيُقَالُ:

فَتَكْتُ أُمَّةً الْإِرْهَابِ..

بِاللُّصُوصِ اللَّقْطَاءِ!..

وَيُقَالُ:

مَا ذَاكَ الْهُرَاءِ؟!..

* * *

لَا تَهْبِي.. فَمِنَ الْحُنْكَةِ..

وَالشُّطَارَةِ.. وَالْحِكْمَةِ:

أَنْ تَنَامِيَ كَالسَّرَابِ..

وَتَعِيشِي كَالضَّبَابِ..

وَتُصَفِّقِي لِلخَرَابِ..

فَهَذَا يُسَمَّى: دَهَاءً!..

* * *

لَا تَنْهَضِي كَمَا الْعَنْقَاءُ..

بِوَجْهِ هُولاكُو، وَكِسْرَى، وَقَيْصَرَ..

فَذَلِكَ جِدُّ جَرِيمَةٍ..

فِي قَوَانِينِ الْإِبَاءِ!..

* * *

لَا تَتَّوْرِي.. وَأَقْتُلِي الْمَرْوَةَ..

وَالْكَرَامَةَ..

وَأَذْبَحِي النَّخْوَةَ..

وَالْأَمَلَ الْكَبِيرَ..

وَاعْتَالِي الضِّيَاءَ!..

أَذْبَحِي كُلَّ رُجُولَةٍ..

وَأَنْتِفَاضَةَ.. أَوْ ثَوْرَةَ..

وَإِخْذُلِي كُلَّ حُرٍّ..

وَاعْتَسِلِي بِالْذِّمَاءِ!..

* * *

أَيُّهَا الْإِعْصَارُ: تَقَدَّمْ..

أَيُّهَا الْبَحْرُ: تَجَهَّمْ..

أَيُّهَا الْمَوْجُ: أَغْرِقْ جَهَنَّمَ..

فَسَفِينُ الشَّيْطَانِ..

وَقَرْنُ المَجُوسِيِّ..

فَرَضُ عَلَيْنَا أَنْ يَنْحَطِّمَ..

* * *

عَلَّ فِكْرًا يَنْتَزِلُ..

عَلَّ وَعِيًّا يَجْتَاحُكَ أُمَّتِي..

عَلَّ صَوْتَ الضَّمِيرِ يُجَلِّجِلُ.

عَلَّ نَفِيرَ (حَطَّيْن)..

أَوْ (القَادِسِيَّة)..

أَوْ عَهْدَ (ذِي قَارِ)..

يَهْزُ العُقُولَ..

يُخْلِجِلُ.

عَلَّهَا وَعَسَاهَا أُمَّتِي..

كَالْبِرَاكِينِ تَثُورُ..

فَتُمزِقُ حِلْفَ الأشْقِيَاءِ!..

عَلَّهَا أُمَّةَ العُرْبِ والإِسْلَامِ..

عَسَاهَا..

تَسْتَجِيبُ - يَا شَامُ - لِهَذَا النِّدَاءِ!..

المصادر: